

١٠- درس في وجوب إتمام الحج والعمرة لله

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ [البقرة: ١٩٦].

هذه آية عظيمة ذكر الله - جل وعلا - فيها جملة من أحكام الحج بدأها بقوله تعالى: ﴿وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ والإتمام معناه: الإكمال، أي: أكملوا مناسك الحج وأكملوا مناسك العمرة، والإكمال يتكون من شيئين:

أولاً: إكمال الأفعال، أفعال الحج وأفعال العمرة وأقوالها.

ثانياً: أن تؤدي هذه الأفعال وهذه الأقوال في الحج والعمرة على وفق سنة رسول الله ﷺ وذلك بأن يؤدي مناسك الحج بأركانه وواجباته وسننه، على وفق سنة رسول الله ﷺ وهذا يمنع المحرم من الخروج من إحرامه؛ لأنه إذا أحرم لزمه المضي وإكمال المناسك، إلا إذا أحصر كما في آخر الآية، فإذا أحصر يعني: مُنِعَ من الوصول إلى البيت فهذا له حكم سيأتي إن شاء الله، أما مادام أنه متمكن من المضي والذهاب إلى البيت، والإتيان بالمناسك فإنه يجب عليه ذلك، ولا تبرأ ذمته إلا بإتمام المناسك، ولو أنه رفض الإحرام وخرج منه من غير عذر فإنه يلزمه الرجوع والتقييد بالإحرام حتى يكمل المناسك.

وأركان الحج أربعة:

الركن الأول: الإحرام وهو نية الدخول في النسك، وهذه النية هي التي تحرم عليه محظورات الإحرام، فلا بد أن ينوي الإحرام في قلبه، ويعقد نية الدخول فيه، ويلتزم بأحكامه، فإن حج أو اعتمر بدون أن ينوي الإحرام فحجه وعمرته غير صحيحين.

الركن الثاني: الوقوف بعرفة وهو الركن الأعظم من أركان الحج، ويبدأ وقته من زوال شمس اليوم التاسع، وينتهي بطلوع الفجر من ليلة العاشر، كل هذا وقت للوقوف بعرفة من ليل أو نهار، فلو لم يقف بعرفة في هذه الفترة ما بين زوال الشمس يوم التاسع إلى طلوع الفجر ليلة العاشر فاته الحج من تلك السنة، لأنه فات عليه الركن الأعظم.

الركن الثالث: طواف الإفاضة سبعة أشواط بالبيت بنية طواف الحج، فلو ترك الطواف لم يتم نسكه إلا بالإتيان بالطواف. ووقته يبدأ من منتصف ليلة العاشر، وأما آخر وقت طواف الإفاضة فليس له حد، فلو أخره صبح متى ما طافه، ولكن كلما بادر به فهو أحسن، المهم لا بد أن يطوف طواف الإفاضة؛ لأنه ركن من أركان الحج.

الركن الرابع: السعي بين الصفا والمروة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]. والنبي ﷺ فعل هذه الأركان فأحرم - عليه الصلاة والسلام - والتزم بالإحرام من الميقات؛ لأنه كان قارناً، ووقف بعرفة من زوال الشمس إلى غروبها، وطاف طواف الإفاضة، وسعى بين الصفا والمروة وقال: «خذوا عني مناسككم»^(١).

فلا بد من هذه الأركان الأربعة ولا يتم الحج إلا بها.

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٧).

وأما الواجبات فهي سبعة:

الأول: الإحرام من الميقات المعتبر له، وهو الذي يمر عليه من المواقيت الخمسة، إذا مر به أو حاذاه من البر أو من البحر أو من الجو، فلا يتعداه إلا وهو محرم، هذا مكان الإحرام.

الثاني: الوقوف بعرفة إلى غروب الشمس، فإن انصرف قبل غروب الشمس ولم يرجع فقد ترك واجباً من واجبات الحج يجبر بدم.

الثالث: المبيت بمزدلفة بعد أن ينصرف من عرفة ليلة العاشر، يبيت بمزدلفة، إن بات كل الليل فهذا أكمل وأفضل، وإن بات إلى منتصف الليل فقد أخذ بالرخصة، وإذا بات الليل كله أخذ بالعزيمة، والعزيمة أفضل، فالمبيت بمزدلفة ليلة العاشر بعد الدفع من عرفة واجب من واجبات الحج، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨]. وهو المزدلفة، وذِكْرُ الله عند المشعر الحرام بينه الرسول ﷺ؛ لأنه صلى فيها صلاة المغرب وصلاة العشاء جمع تأخير لما وصل وبات بها، ولما طلع الفجر صلى صلاة الفجر في أول وقتها، ووقف ودعا إلى قبيل طلوع الشمس، ورخص للعجزة ومن في حكمهم بالتعجل بالانصراف من مزدلفة بعد منتصف الليل وقال: «خذوا عني مناسككم»^(١).

الرابع: المبيت بمنى ليالي أيام التشريق الحادي عشر والثاني عشر لمن تعجل في يومين، والثالث عشر لمن تأخر، فالمبيت بمنى واجب من واجبات الحج.

الخامس: رمي الجمار، بأن يرمي جمرة العقبة في يوم العيد، وفي أيام التشريق يرمي الجمار الثلاث بعد الزوال من كل يوم، هذا واجب من واجبات الحج.

السادس: الحلق أو التقصير في يوم العيد.

السابع: طواف الوداع عندما يريد السفر إلى بلده، هذه واجبات الحج.

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٧).

أما العمرة فلها أركان أيضاً ولها واجبات:

أركانها:

الأول: الإحرام.

الثاني: الطواف والسعي.

وأما واجباتها فهو واحد وهو: الحلق أو التقصير.

والله أمر بإتمام العمرة كما أمر بإتمام الحج، بأن يأتي بأركانها وواجباتها، السنن أيضاً: الدعاء في الطواف، الدعاء على الصفا، الاضطباع في طواف العمرة، الرمل في طواف العمرة وفي طواف القدوم، هذه سنن ومكملات.

فإن ترك الإحرام فلا حج له ولا عمرة، مثل ما لو ركع وسجد لكنه لم يكبر تكبيرة الإحرام في الصلاة، فإنها لا تنعقد صلاته، كذلك إذا ترك الإحرام بالحج والعمرة لم ينعقد نسكه، وإذا ترك الوقوف بعرفة فاته الحج، وإذا ترك الطواف أو السعي فإنه يأتي بهما ولو بعد حين، ولا يتم حجه إلا بهما، وأما من ترك واجباً من الواجبات السبعة فإنه يجبره بدم، وأما السنن في الحج والعمرة فهذه فضائل إن أتى بها فهو كمال وفضل، وأن تركها فلا حرج عليه، لأن المستحب هو: ما يثاب فاعله، ولا يعاقب تاركة، إذا إتمام الحج على قسمين:

الأول: إتمام واجب وهو الإتيان بالأركان والواجبات.

الثاني: إكمال مستحب وهو الإتيان بالسنن والفضائل، والسنن كثيرة منها: التلبية بعد الإحرام، والخروج إلى منى في اليوم الثامن والمبيت بها ليلة التاسع، ومنها الدعاء في عرفة وقت الوقوف، والدعاء في مزدلفة بعد صلاة الفجر إلى قبيل طلوع الشمس، والبقاء في منى أيام التشريق في النهار، البقاء فيها في الليل واجب، وأما في النهار فمستحب، فيبقى في منى ليلاً ونهاراً ليحصل على الواجب والمستحب. وكذلك من السنن التكبير المقيد في أدبار الصلوات في جماعة في أيام التشريق، هذا من سنن الحج، بل هو سنة لجميع المسلمين، إنما يختلف الحاج عن غيره في بداية

التكبير، وغير الحاج من فجر يوم عرفة، والحاج من ظهر يوم العيد، يبدأ التكبير المقيّد بأدبار الصلوات المفروضة في جماعة.

فينبغي معرفة الفرق بين الأركان والواجبات والسنن، ثم الفرق بين الأركان بعضها مع بعض، فلا بد للمسلم أن يتفقه في عبادته ويعرف كيف يؤديها على الوجه المطلوب هذا معنى قوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.

ثم قال جل وعلا: ﴿لِلَّهِ﴾ تنبه ﴿لِلَّهِ﴾ يكون حجك وعمرتك لله خالصين لوجه الله، ليس فيهما رياء ولا سمعة، ولا يخالطهما شرك بالله - عز وجل -، لأن الشرك يبطل العمل من حج أو عمرة، حتى ولو كان شركاً أصغر كالرياء فإنه يبطل العمل الذي يخالطه، أما الشرك الأكبر - والعياذ بالله - وهو دعاء غير الله، والاستغاثة بالأموات في أضرتهم، الذبح لهم، النذر لهم، شرك أكبر يبطل جميع الأعمال من حج وغيره، فإن الحج وسائر العبادات لا تصح إلا مع التوحيد، فمن كان عنده شرك فإن عبادته غير صحيحة، ولا تقبل عند الله قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]. فلا تصح العبادة إلا بشرطين:

الشرط الأول: الإخلاص لله - عز وجل -، فلا يكون فيها شرك، وليس فيها بدع، ولا خرافات، ولا محدثات، ولا قصد لغير الله.

الشرط الثاني: أن تكون موافقة لسنة رسول الله ﷺ ليس فيها بدعة ولا خرافة، وإنما تكون صواباً على سنة رسول الله ﷺ لقوله ﷺ لما حج بالناس قال: «خذوا عني مناسككم»^(١)، أي: أدوا المناسك كما رأيتموني أؤديها، تابعوني، من كان حاضراً مع الرسول ﷺ فإنه يتابع الرسول ﷺ في تأدية المناسك، فيفعل مثل فعل الرسول ﷺ ومن كان بعد وفاة الرسول ﷺ فإنه يتبع الأحاديث الصحيحة الواردة في صفة حج النبي ﷺ وعمرته، كأنه يشاهد الرسول ﷺ حينما يقرأ الأحاديث

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٧).

الصحيحة التي تصف كيف حج النبي ﷺ وكيف اعتمر فيؤدي نسكة على ذلك، لا يحدث شيئاً من عنده أو يقتدي بكلام أحد أو قول أحد غير الرسول ﷺ أو بفتوى فلان، ليس هناك قدوة إلا فعل الرسول ﷺ وكلامه، والفتاوى والأقوال إذا كانت موافقة لأقوال الرسول وأفعاله فإنها يعمل بها، أما إذا كانت مخالفة فإنها ترد ولا يعمل بها.

فهذا هو إتمام الحج والعمرة على سبيل الاختصار.

نسأل الله - جل وعلا - أن يوفقنا لصالح القول والعمل. وأما الكلام على بقية الآية فيسأتي في درس آخر إن شاء الله.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



١١- درس في تقمة وجوب إتمام الحج والعمرة لله

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ [البقرة: ١٩٦].

تقدم الكلام على أول هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ووقفنا عند قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾.

والإحصار هو: المنع ﴿فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ﴾ أي: منعتهم من إتمام الحج والعمرة، بأن عرض عليكم عدو حال بينكم وبين الوصول إلى البيت، أو أصابكم مرض لا تستطيعون المضي معه إلى البيت. هذا هو الإحصار، والإحصار في الأصل: الحبس، ﴿فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ﴾ أي: حبستم من الوصول إلى البيت بعد الإحرام بالعمرة أو الحج، كما حصل للنبي ﷺ وأصحابه عام الحديبية فإنهم جاؤوا محرمين بالعمرة ومعهم الهدى ساقوه من المدينة فمعتهم الكفار من الوصول إلى البيت.

فسألهم - جل وعلا - أمرهم أن يذبحوا ما استيسر من الهدى وأن يحلوا من إحرامهم ويرجعوا إلى بلادهم، وهكذا فعل النبي ﷺ وأصحابه، عملاً بأمر الله - سبحانه وتعالى -، فالحصر يفتح هديه في مكانه الذي أحصر فيه ويتحلل من إحرامه وليس عليه شيء غير ذلك.

ثم قال جل وعسلا: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ هذا في حال الأمان، إذا لم يحصل إحصار ومعك هدي جئت به تسوقه لكي تذبحه في الحرم تقرباً إلى الله - سبحانه وتعالى -، فإنه لا يحل لك أن تحلق رأسك حتى يبلغ الهدى محله، بأن يصل إلى مكة ويذبح فيها، هذا في حق المحرم الذي ساق الهدى، لا يحل له أن يتمتع بالعمرة إلى الحج، بل يحرم إما قارناً أو مفرداً، لأنه محرم وسائق للهدى فيبقى على إحرامه إلى أن يذبح هديه في مكة في وقت الذبح، وهذا هو الذي فعله النبي ﷺ في حجة الوداع، فإنه ساق معه الهدى من المدينة، وأحرم قارناً بين الحج والعمرة وبقي على إحرامه حتى نحر الهدى يوم العيد بعد رمي جمرة العقبة ثم تحلل من إحرامه ﷺ عملاً بهذه الآية.

أما المحرم الذي ليس معه هدي، فهذا إن أراد القرآن فإنه يبقى على إحرامه أو كان مفرداً فإنه يبقى على إحرامه حتى يوم العيد، فإذا أدى المناسك يوم العيد يتحلل، وأما من كان متمتعاً فإنه إذا وصل إلى مكة يطوف للعمرة ويسعى بين الصفا والمروة للعمرة ويحلق رأسه أو يقصر ثم يتحلل من إحرامه ثم إذا صار يوم الثامن فإنه يحرم بالحج، هذا هو التمتع، وهو أفضل الأنساك لمن لم يسق الهدى، أما من ساق الهدى فيتعين عليه أن يحرم قارناً أو مفرداً لأنه سيقى في إحرامه حتى يذبح الهدى يوم النحر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ أما من اشتري الهدى من الحرم فليس له هذا الحكم، إنما الحكم هذا خاص بمن ساق الهدى خارج الحرم.

ثم قال جل وعسلا: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، عرفنا إن المحرم لا يجوز له أن يأخذ شيئاً من شعره لا من رأسه ولا من غيره حتى يتحلل من إحرامه، إما بالعمرة وإما بالحج، لكن لو كان مريضاً يحتاج إلى أن يحلق رأسه من أجل المرض وهذا شيء يعرض للمحرم قد يصاب بمرض يحتاج معه إلى الحلق، هذا اقتناء الله بأنه يحلق، إزاله للضرر ويفدي.

وسبب نزول الآية أن كعب بن عميرة رضي الله عنه كان محرماً مع النبي ﷺ فاشتد به القمل . وهو : الدواب الصغيرة التي تكون في رأس الإنسان أو في بدنه ، اشتد به أذاها فأتى به إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر من رأسه فقال ﷺ : «أحلق رأسك وانسك هدياً أو أطعم ستة مساكين أو صم ثلاثة أيام»^(١) ، هذا تفسير للآية ، «فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ» ، ففدية عن حلق الرأس وما يشبهه فدية الأذى أي التي تكون لإزالة الأذى مخيرة بين هذه الأمور الثلاثة ، إما أن يذبح شاة في مكة ويوزعها على الفقراء ، وإما أن يصوم ثلاثة أيام . «فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ» ، بينه الرسول ﷺ بأنه ثلاثة أيام ، «أَوْ صَدَقَةٍ» ، بينه الرسول ﷺ بأنه إطعام ستة مساكين ، «أَوْ نُسْكَ» ، بينه النبي ﷺ بأنه ذبح شاة ، ثم يحلق رأسه ، لكن يبقى على إحرامه . ثم قال جل وعلا : «فَإِذَا أَمِنْتُمْ» ليس فيه إحصار ، أحرمت بالحج أو بالعمرة ولم يعرض لك إحصار فإنه يجب عليك المضي إلى مكة وإتمام الحج والعمرة ، فإذا أمتم من الإحصار ، «فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ» يعني : أحرم متمتعاً ، والمتمتع هو الذي يحرم بعمره من الميقات ، فإذا وصل إلى مكة طاف للعمرة وسعى للعمرة ثم قصر من رأسه ثم تحلل من إحرامه ، فإذا صار يوم الثامن يحرم بالحج ، هذا هو المتمتع ، «فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِّنْ أَهْدْيَ» يعني : يجب على المتمتع أن يذبح هدياً يسمى هدي المتمتع ، وهو نسك وليس جبرائلاً ، وإنما هو نسك من مناسك الحج «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِّنْ أَهْدْيَ» بينه النبي ﷺ بأنه إما أن يذبح شاة ، وإما أنه يشترك في سبع بدنة ، أو في سبع بقرة ، «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِّنْ أَهْدْيَ» يعني : شاة أو سبع بدنة أو سبع بقرة ، «فَمَن لَّمْ يَجِدْ» ليس كل الناس يقدرון على الذبح ، «لَّمْ يَجِدْ» ليس معه نقود يشتري ، أو نقوده يسيرة قد لا تكفي إلا لنفقته ، فهذا يصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة بعد نهاية الحج ، يصوم ثلاثة أيام من

(١) أخرجه البخاري برقم (١٨١٦) ، ومسلم برقم (١٢٠١) .

حين يحرم بالعمرة، قبل يوم عرفة، فإن جاء يوم العيد وهو لم يصم، فإنه يصومها بعد العيد في أيام التشريق الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، لحديث عائشة - رضي الله عنها -: «لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا عن دم متعة أو قران»^(١)، فإذا رجع إلى أهله بعد الحج يصوم سبعة أيام إما في الطريق وإما إذا وصل إلى بلده، ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ ثلاثة مع سبعة عشرة كاملة، ﴿لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ هدي التمتع إنما يجب على الآفاقي وهو: القادم إلى مكة من غير أهلها، أما المكي فإنه إذا تمتع فإنه ليس عليه هدي، والمكي هو: الساكن في مكة من أهلها أو من الطائرين عليها من غير أهلها المقيمين فيها مدة طويلة، يكون حكمهم حكم أهل مكة، أما المقيم في مكة إقامة يسيرة وهو سيعود إلى بلده فهذا ليس من أهل مكة.

ثم قال جل وعلا: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر بتقواه - سبحانه وتعالى -، والتقوى: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية من الطاعة وترك المعصية، فإنه لا يقي من عذاب الله إلا الطاعة بفعل أوامر الله وترك نواهيه، في الحج وفي غيره، هذه هي التقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ شديد العقاب لمن عصاه، وإن كان - جل وعلا - غفوراً رحيماً، فهو شديد العقاب، فلا تنس أن تجمع بين الصفتين لله - عز وجل -، صفة الرحمة وصفة العقاب، الرحمة لمن أطاعة، والعقاب لمن عصاه، فلا تعتمد على الرحمة وتفعل ما تشاء، تقول: الله غفور رحيم، لا تنس العقاب والعذاب، فكما أن الله غفور رحيم فهو شديد العقاب - سبحانه وتعالى -، فتكون بين الخوف والرجاء، ما تكون راجياً فقط، ولا تكن خائفاً فقط، وإنما تجمع بين الخوف والرجاء، هذه صفة المؤمنين.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) أخرجه البخاري برقم (١٩٩٧-١٩٩٨)، بلفظ: «لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي».

١٢- درس في بيان أوقات وأماكن المناسك

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْتُمْ مَنَسِكُكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]. في هاتين الآيتين أمر الله - سبحانه وتعالى - بإتمام الحج والعمرة، وذكر ما يفعل بعد قضاء المناسك أي: إتمامها، لأن القضاء يأتي بمعنى الإتمام، فمضى قضيتكم مناسككم أي: فرغتم من أداء مناسك الحج، فدللت الآيتان الكريمتان على أنه لا بد من إتمام الحج بأداء مناسكه على الوجه المشروع، كل شيء في وقته المحدد له شرعاً بحيث لا يترك شيئاً من هذه المناسك ولا يأتي به في غير وقته بل كل شيء له وقت.

سأولاً: الإحرام هذا له وقت وله مكان، فالوقت هو أشهر الحج والمكان هو المواقيت الخمسة إذا مر بها أحرم منها، أو من مكانه إذا كان دون المواقيت، أو من المكان الذي نوى منه الحج أو العمرة ولا يتعداه إلا وهو محرم، لكن العمرة يحرم بها من الحل ولا يحرم بها من الحرم.

ثانياً: الوقوف بعرفة له وقت وله مكان، وقته من زوال الشمس في اليوم التاسع ويستمر إلى طلوع الفجر من ليلة العاشر، ومكانه داخل حدود عرفة قال ﷺ: «عرفة كلها موقف»^(١)، والله جل وعلا يقول: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ [البقرة: ١٩٨]. عرفة وعرفات بمعنى واحد، مكان الوقوف هو عرفة.

ثالثاً: الإفاضة إلى مزدلفة وهي المشعر الحرام، فببيت فيها ليلة العاشر، وهذا

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨ ١٤٩٠).

من مناسك الحج التي قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾، فمن ترك المبيت بمزدلفة ليلة العاشر، فإنه ترك منسكاً من مناسك الحج، لا يعذر بتركه إلا بعذر شرعي لم يمكنه من المبيت، أما أنه يترك المبيت بدون عذر شرعي فهذا ترك منسكاً من مناسك الحج.

رابعاً: الإفاضة من مزدلفة إلى منى لا تكون إلا بعد المبيت بمزدلفة، أنت حاج فلا بد أن تمشى على ما شرع الله فتفيض إلى منى، وتنزل في منى إذا أمكن أن تحصل على مكان في منى فلا يسعك إلا أن تنزل فيها، وإذا لم تجد منزلاً في منى فإنك تنزل في طرف الحجاج القريين من منى، تنصب خيمتك في طرف خيام الحجاج التي تتصل بمنى لأن هذا منتهى قدرتك، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وهذا من إتمام المناسك، المبيت فيها واجب والبقاء فيها في النهار مستحب، أنت في عبادة فتكون في منى هذه الأيام، ولا تفرط وتذهب عند المكيفات في البيت، أنت حاج يا أخي فاصبر هذه الأيام، اصبر على الشعث، واصبر على الغبار، واصبر على الحر، أنت حاج فتبقى في منى أو قريباً من منى متصلاً مع الحجاج إذا لم تجد مكاناً في منى، هذا من إتمام المناسك.

خامساً: ورمي الجمار له وقت وله مكان، فوقت جمرة العقبة يبدأ من منتصف الليل ليلة النحر إلى غروب الشمس من يوم العيد، وفي اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من الظهر إلى الغروب، وإذا لم تستطع فيما بين الظهر والغروب فإنك ترمي بعد الغروب، ولا يجوز أن ترمي قبل الزوال، فهذا لم يفعله النبي ﷺ ولا أمربه ولا رخص فيه، وإذا رميت قبل الزوال رميت قبل الوقت مثل ما لو صليت قبل الوقت، لا يجزئ رميك، والرمي له مكان وهو حوض الجمرة وليس الشاخص، فلا بد أن تقع الحصاة في الحوض، سواء استقرت فيه أو نزلت منه، أما إذا لم تمر على الحوض فإنها لا تجزئ، وهذا يستدعي منك الأناة والتأكد وتحين الوقت المناسب للرمي، وليس المطلوب أنك تأخذ الحصى وترميه، بل المطلوب أنك

تأخذ الحصى وترميه في حوض الجمرة، هذا هو المطلوب وتكبر مع كل حصاة.
تأتي في الوقت الذي تستطيع أن ترمي فيه، لأن هذه عبادة لا يصلح فيها الإخلال
والإهمال، لا بد أن تؤديها على الوجه المشروع.

بعض الناس بل كثير من الناس إذا جاء إلى منى تأخذ العجلة يريد أن يسافر ولو
في يوم النحر، بعضهم يقف بعرفة ويرمي جمرة العقبة ويوكل على الباقي ويذهب
إلى بلده، هذا لو لم يحج لكان أحسن له لأنه ضيع المناسك، لا يجوز السفر إلا
بعد إكمال المناسك، واستيفاء أيام الحج وطواف الوداع في النهاية، أما أنه يوكل
ويسافر، فيترك المبيت، ويترك رمي الجمار، ويترك طواف الوداع، فهذا في الحقيقة
لم يحج؛ لأنه لم يتم المناسك، أما إذا وكل للعبز عن الرمي من يرمي عنه، فهو
يقتى في منى؛ لأنه مربوط بوداع، الوداع لا يكون إلا بعد انتهاء مناسك الحج،
في آخر يوم من أيام الحج، بعضهم قد تكون معه امرأة يصيبها حيض فيضايقها
ويهددها، يجب عليه إذا أصابها الحيض أن يتظر معها، هو في بلد آمن، وفي حرم
آمن، والصلاة الواحدة تعدل مئة ألف صلاة، له زيادة أجر، فيصبر حتى يزول العذر
عن المرأة التي هو مخرم لها، ثم تغتسل وتطوف، وهو على أجر في هذا، لا يجوز
أن تطوف وهي حائض؛ لأن الرسول ﷺ قال للحائض: «افعلي ما يفعل الحاج
غير ألا تطوفي بالبيت حتى تطهري»^(١)، ولما حاضت صفية وعلم بذلك رسول الله
ﷺ قال: «أحباستنا هي؟»، قالوا يا رسول الله: إنها قد أفاضت، يعني: طافت
طواف الإفاضة، قال: «فانفري إذن»^(٢)، يعني: سافري؛ لأنه يسقط طواف الوداع
عن الحائض.

الشاهد قوله: «أحباستنا هي؟»، فدل على أنها لو لم تطف طواف الإفاضة أنها
ستحبس الرسول ﷺ وتحبس معه الصحابة - رضي الله عنهم -، دل هذا على أنه لا

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١١، ١١٩٠، ١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٧٥٧)، ومسلم برقم (١٢١١، ٣٨٢).

يجوز أن تطوف وهي حائض، بل تحبس من معها حتى تطهر من حيضها وتغتسل، وهذا قدر الله - سبحانه وتعالى -، بعضهم يقول: الحملة تذهب، الحجز يفوت، وكل هذه لست أعذاراً.

هذه أمور يجب التنبيه لها ويجب أداء مناسك الحج كل شيء في وقته وفي مكانه المحدد له، ولا يجوز التقديم والتأخير، إلا الشيء الذي رخص فيه الشارع، وأما من لم يرخص فيه الشارع فنحن لا نتصرف من عند أنفسنا، هذا هو الواجب على المسلم.

نسأل الله - عز وجل - أن يوفقنا وإياكم لإتمام حجتنا على الوجه المشروع، وأن يتقبل منا ومنكم وجميع المسلمين وأن يغفر لنا ولكم ما قصرنا فيه وأخطأنا فيه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



١٣- درس في بيان الإحصار وحلق الرأس والتمتع بالعمرة إلى الحج

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَيَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ يَلِك عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: ١٩٦].

ذكر الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية ثلاث مسائل، الإحصار، ومسألة حلق الرأس بالنسبة للمحرم، ومتى يحل، ومسألة التمتع بالعمرة إلى الحج وما يجب فيها.

المسألة الأولى: الإحصار الذي يعرض للمحرم، والإحصار: هو الحبس فمن أحرَم بالحج أو العمرة، ثم حُبِس ولم يستطع الوصول إلى البيت، بأن صده عدو أو حصل له مرض منعه في المضي، أو حادث سيارة أصابته إصابات لا يستطيع معها المضي والوصول إلى البيت، أو ضاعت نفقته التي ينفق منها في سفره ويتزود منها في حجه، فهذه أنواع من الإحصار.

أولها: الإحصار بالعدو.

ثانياً: الإحصار بالمرض والإصابة.

ثالثاً: الإحصار بضياغ النفقة، فمن عرض له شيء من هذه الأمور ومنعه من

الوصول إلى البيت، فإنه يذبح هدياً في مكانه الذي أحصر فيه، ويحلق رأسه ويتحلل من إحرامه ولا شيء عليه، كما حصل للنبي ﷺ لما أحرم بالعمرة في ذي القعدة في السنة السابعة، وجاء بالهدي يسوقه من المدينة، فعرض له المشركون من أهل مكة ومنعوه من الوصول إلى البيت في مكان يسمى الحديبية، على حدود الحرم من الجهة الغربية الشمالية يسمى الآن بالشميسي، منعوه ﷺ هو وأصحابه، ومنعوا الهدي وتفاوض معهم ﷺ لعلمهم أن يسمحوا له، لأن السيطرة كانت لهم في ذلك الوقت على مكة فأبوا، ثم تم الصلح بينه وبينهم على أن يرجع هذا العام وأن يأتي من العام القادم فيعتمر. والنبي ﷺ وقّع معهم الصلح على هذا. ثم أمر أصحابه أن يذبحوا هديهم في مكانهم. وأن يحلقوا رؤوسهم وهو ﷺ قد نحر هديه في مكانه وحلق رأسه وتحللوا من إحرامهم. ثم من العام القادم جاؤوا واعتمروا على ما صالحوا عليه المشركين. عمرة القضاء أو عمرة القضية. سميت القضاء؛ لأنه من المقاضات، وهي: الرجوع من عامه إلى المدينة نظير أن يمكنه من العام القادم من العمرة، هذا وجه تسميتها عمرة القضية أو عمرة القضاء، فتم له ﷺ العمرة من العام القادم، فدل هذا على أن من منعه العدو من أن يمضي إلى البيت أن يفعل مثل هذا الفعل، ويتحلل ولا شيء عليه، وكذلك لو أصابه مرض حبسه، أو حادث سير منعه بأن أصابه بمرض وكسور أو غير ذلك، ولم يستطع المضي، فإنه إن كان يرجو أن يزول عنه المرض قبل يوم عرفة فإنه يبقى على إحرامه، فإن تمكن حج أو أن يتمكن من العمرة فيما بعد فإنه ينتظر بإحرامه، فإن تمكن تحلل بعمرة، وإن لم يتمكن وعلم أن المانع سيستمر معه فإنه مثل المحصر بالعدو، يهدي ويحلق رأسه ويتحلل من إحرامه.

وكذلك بالنسبة لمن ضاعت نفقته ولم يستطع المضي، فإنه يحلق رأسه ويصوم بدل الهدي عشرة أيام ويتحلل من إحرامه هذا هو المحصر.

المسألة الثانية: قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ هذا إذا لم يحصل

إحصار، فإن المحرم لا يجوز له أن يحلق رأسه مادام محرماً، لأن هذا من محظورات الإحرام ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَهْدَىٰ مُحَلِّهٖ﴾ أي: حتى يأتي يوم العيد ويذبح الهدي في يوم النحر، إذا ساق الهدي من الحل فإنه يمتنع عن حلق رأسه، كما حصل للنبي ﷺ لما ساق الهدي من المدينة في حجة الوداع، منعه الله من حلق رأسه حتى ينحر هديه يوم العيد، وأما الذين ليس معهم هدي، فالنبي ﷺ أمرهم أن يتحللوا بعمره، وأن يحرموا بعدها بالحج ويصبروا متمتعين، أما هو ﷺ فأحرم قارناً وبقي على إحرامه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَهْدَىٰ مُحَلِّهٖ﴾ بقي قارناً، لأن الهدي معه، وهذا يوجب عليه الاستمرار في الإحرام، حتى ينحر الهدي، والذي نأخذه الآن، هو أن المحرم لا يحلق رأسه، ولا يأخذ شيئاً من شعره، ولا من ظفاره، ما دام محرماً حتى يؤدي المناسك التي أحرم بها من حج أو عمرة.

فإن أصابه مرض، احتاج معه إلى حلق الرأس من أجل العلاج، أو من أجل زوال المرض الذي فيه، فإنه يحلق ويفدي كما قال الله جل وعلا: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ أي من شعر رأسه ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ فيه تقدير أي: فحلق فدية، أي: فعليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك، قد بين النبي ﷺ أن الصيام ثلاثة أيام، وأن النسك ذبيحة، وأن الإطعام لستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع كما في حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه: «أنه كان محرماً مع النبي ﷺ فتأذى بالقمل الذي في رأسه، آذاه أذى شديداً ولا يزول إلا بالحلق فأمره النبي ﷺ أن يحلق رأسه وأن يفدي»^(١)، هذه الفدية المخيرة بين ثلاثة أمور، فحلق رأسه وفدى كما أمر النبي ﷺ وكما في الآية وفسرها النبي ﷺ بما سمعتم، ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِّيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ﴾ هذا بالنسبة لمن احتاج إلى حلق رأسه وهو محرّم، فإنه يحلق ويفدي بهذه الفدية التي ذكرها الله - سبحانه وتعالى -، وهذا مما يدل على تيسير الله - عز وجل - ورفع الحرج عن هذه الأمة. وهكذا هذا الدين العظيم ليس فيه حرج

(١) أخرجه البخاري برقم (١٨١٦)، ومسلم برقم (١٢٠١).

لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦].

فالخرج مرفوع - والله الحمد - ولكن يعمل البديل الذي أمر الله - تعالى - به وهو الفدية، فالله - جل وعلا - أزال عنه الحرج وأوجب عليه الفدية، وهي البديل الذي يستطيعه ولا يشق عليه. والله - تعالى - أعلم.

المسألة الثالثة: مسألة التمتع بالعمرة إلى الحج وذلك على قسمين:

القسم الأول: أن يحرم بالعمرة من الميقات ويتحلل منها بأداء مناسكها ثم يحرم بالحج من عامه.

القسم الثاني: أن يحرم مفرداً أو قارناً، وليس معه هدي وساقه من الحل، فالأفضل له أن ينسخ إفراده أو قرانه إلى التمتع، وعلى المتمتع والقارن الذي بقي على قرانه فدية، فإن لم يجدها صام عشرة أيام ثلاثة منها في أيام الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.



١٤- درس في الإحرام ومحظوراته

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

فإن أول أعمال الحج الإحرام، فلا بد أن نعرف ما هو الإحرام ونعرف أحكامه وما يحرم على المحرم.

الإحرام هو: نية الدخول في النسك، والنية محلها القلب، لأنها من أعمال القلب، لا يعلمها إلا الله، لقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(١)، فالإحرام نية في القلب، أي نية الشروع في الحج أو الشروع في العمرة، وأما النية العامة التي خرج بها من بلده، فهو ما خرج من بلدة إلا وهو يريد الحج أو يريد العمرة، لكن هذه النية العامة لا تسمى إحراماً، وإنما إذا نوى ابتداء الدخول في العبادة صار محرماً، لأنه من بلده ما نوى الدخول في العبادة، ولا نوى الشروع في العبادة التي جاء أو خرج من أجلها، مثل الإنسان حينما يخرج من بيته إلى المسجد يريد الصلاة، فإنه لا يكون بهذه النية داخلاً في الصلاة حتى يكبر تكبيرة الإحرام، ولذلك سميت هذه التكبيرة تكبيرة الإحرام، لأنها تحرم عليه أشياء كانت مباحة له من قبل. فكذا نية الدخول في النسك سميت إحراماً، لأنها تحرم عليه أشياء كانت مباحة له قبل ذلك، هذا هو الإحرام.

وأما زمان الإحرام بالحج فهو كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]. أي الزمان الذي يصح الإحرام بالحج فيه هو أشهر معلومات، وهي شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة فإذا أحرم بالحج في هذا الوقت من بدايته، أو من وسطه، أو من آخره، صار محرماً، أما إذا أحرم بالحج قبل

(١) أخرجه البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (١٩٠٧).

شوال، لم يصح إحرامه لأن هذا ليس وقتاً للحج، فالحج من بداية شوال، يعني: محل نية الإحرام بالحج من بداية شوال، أما المناسك فإنما تؤدى في أيام الحج، لكن أول أعمال الحج وهو الإحرام يصح من بداية شوال، أما الطواف والسعي والوقوف بعرفة ورمي الجمار والمبيت فسي مزدلفة وفي منى فهذه تكون في أيام الحج المعروفة ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وأيضاً الإحرام له مكان، بيّنه النبي ﷺ لما كانت البلاد واسعة ومتفرقة حدد النبي ﷺ لكل جهة ميقاتاً، فحدد لأهل نجد: قرن المنازل وهو السيل، وحدد لأهل اليمن: يلملم، وهو السعدية، وحدد لأهل الشام والمغرب ومصر: الجحفة، وحدد لأهل المدينة: ذا الحليفة، وحدد لأهل العراق: ذات عرق، فهذه الأماكن إذا مر بها الحاج أو المعتمر فإنه يحرم منها، ولا يتعداها بدون إحرام، ومن كان منزله دون هذه المواقيت فإنه يحرم من منزله، ومن جاء على المواقيت وهو لا يريد الحج ولا العمرة، ثم بدا له بعدما تعداها أن يعتمر أو يحج، يحرم من المكان الذي نوى منه، إلا العمرة فإنها لا بد أن يحرم بها من خارج الحرم، فهذه هي المواقيت المكانية للإحرام، إذا مر بها أو حاذاها براً أو بحراً أو جواً، فإنه لا يتعداها بدون إحرام.

أما محظورات الإحرام فهي:

١ - يحرم على الذكور لبس المخيطات للبدن، أو للأعضاء كالثياب والفتايل والسراري وكل ما هو مخيط أو منسوج للبدن، أو لعضو من الأعضاء، فإنه يخلعه ويلبس إزاراً ورداءً، وأما المرأة فإنها تحرم في ثيابها، لأن المرأة عورة، فتحرم في ثيابها العادية، ولا يحرم عليها من الملابس إلا شيطان يسيران.

الشيء الأول: البرقع أو النقاب على الوجه، فترفعه وتغطي وجهها عن الرجال بالخمير أو بالثوب، لكن لا تغطيه بالنقاب أو البرقع.

الشيء الثاني: لا تلبس القفازين، وهما جوارب اليدين، وإنما تغطي كفيها عن الرجال بثوبها أو بعباءتها، وماعدا هذين فليس للمرأة ملابس للإحرام خاصة، وإنما

تحرم في ملابسها بشرط أن تكون ساترة وألا تكون فيها زينة، وأما الألوان فإنها تلبس ما شاءت.

٢ - كذلك يحرم على المَحْرَم ذكرراً كان أو أنثى، حلق الشعر من رأسه أو من بدنه، فلا يجوز له أن يأخذ شيئاً من شعره، لا من رأسه ولا من سائر بدنه، لا بالخلق ولا بالقص، ولا بالإزالة ولا بالتف، يتجنب أخذ الشعر، أما لو تساقط منه الشعر بدون اختياره فهذا لا يضره إنما المحرم أن يزيله هو بفعله، فهذا لا يجوز، وكذا تقليم الأظافر.

٣ - وكذلك يحرم على المَحْرَم، رجلاً كان أو امرأة: التطيب بأي أنواع الطيب فإذا نوى الإحرام فإنه يتجنب الطيب بجميع أنواعه، في ثوبه وفي بدنه، وكذلك لا يشرب شيئاً فيه طيب، أو يأكل شيئاً فيه طيب، أو يغتسل بشيء فيه طيب، فيتجنب الطيب طيلة إحرامه.

٤ - وكذلك مما يحرم على المَحْرَم رجلاً كان أو امرأة: الصيد؛ فإنه لا يجوز له أن يصيد الطيور، أو الأرانب، أو الظباء، أو غير ذلك من صيد البر، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]. ﴿وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦]. ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ١]. فلا يجوز للمحرم رجلاً كان أو امرأة الاصطياد أو المشاركة فيه أو الإعانة عليه.

٥ - وكذلك يحرم على الرجل تغطية خاصة رأسه، بالعمامة والغترة والشماغ والطاقيّة، وما هو من ملابس الرأس، فلا يغطي رأسه وهو محرم بالشيء الملاصق، أما أن يستظل بالخيمة، أو بسقف السيارة، أو تحت الشجرة، أو بالمنزل فلا بأس؛ لأن هذا غير ملاصق، إنما الممنوع تغطية رأسه بشيء ملاصق.

٦ - وكذلك يحرم على المحرم رجلاً كان أو امرأة الجماع ودواعيه، من النظر واللمس والقبلة والكلام، حتى الكلام به، ويتعد عن استماع الأغاني التي فيها التشبيب، والتي فيها الغرام لا يستمع إليها؛ لأن هذا من الرفث، ولا ينظر إلى

الصور الفاتنة، ولا ينظر إلى البث التلفزيوني الذي فيه النساء، أو ينظر إليها بشهوة، أو يتأمل في الصور التي فيها فتنة، كل هذا يدخل في الرفث ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ﴾ [البقرة: ١٩٧]. الرفث هو: الجماع وأسبابه، يتجنب هذه الأمور حتى يحل من إحرامه.

كذلك لا يخطب امرأة من وليها، أو وليها يعرضها على أحد، أو يعقد النكاح لقول النبي ﷺ: «لَا يُنكِحُ المحرم ولا يُنْكَحُ»^(١)، يعني لا يعقد النكاح لنفسه ولا يعقده لغيره.

هذه محظورات الإحرام التي حرّمها الله على المحرم فإن فعل شيئاً منها ناسياً أو جاهلاً فلا شيء عليه ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥]. ومن فعل شيئاً منها متعمداً فعليه التوبة إلى الله - عز وجل -، وعليه الفدية التي تجبر هذا النقص الذي حصل منه، والفدية تختلف باختلاف المحظورات، ولها تفاصيل، لكن تجب عليه الفدية في غالب المحظورات، وكذلك قد يفسد حجه إذا كان المحظور جماعاً يلزمه أشياء، فيتقي الله في كل حال وفي إحرامه من باب أولى؛ لأنه أمانة في ذمته التزم بها الله - سبحانه وتعالى -، فيحافظ عليها لئلا يكون تبعه لا فائدة فيه، ويخلص النية لله - عز وجل -، ويكون قصده وجه الله - عز وجل - حتى يكون عمله مقبولاً عند الله، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان صواباً على سنة رسول الله ﷺ وكان خالصاً لوجه الله - عز وجل -، وذلك في جميع أعمال الحج والعمرة والصلاة وغيرها، لا بد فيها من الإخلاص لله والمتابعة للرسول ﷺ حتى تكون أعمالاً صالحة مقبولة عند الله - عز وجل -.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) أخرجه مسلم برفم (٩-١٤).

١٥- درس في تفسير قوله تعالى:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ...﴾ الآية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ ۚ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ أي: الإحرام بالحج يكون في أشهر معلومات، أي معروفة لا يشرع الإحرام بالحج في غيرها، بخلاف العمرة فليس لها وقت محدد من السنة، وقتها موسع، فإنه يصح الإحرام بها في كل وقت، أما الحج فالإحرام به له أشهر معلومات، وهذه الأشهر هي: شوال وذو القعدة وعشرة أيام من ذي الحجة، من أحرم في أي وقت من هذه الأيام وهذه الأشهر انعقد إحرامه، أما من أحرم بالحج في رمضان مثلاً، أو أحرم به بعد ليلة العاشر من ذي الحجة، لم يشرع إحرامه، لأنه غير وقت الإحرام بالحج. هذا هو الوقت الذي يشرع فيه الإحرام بالحج.

وأما مناسك الحج فإنها تبدأ من اليوم التاسع إلى اليوم الثالث عشر، فيكون فيها الوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، والمبيت بمنى، ورمي الجمار، وطواف الإفاضة، والسعي بين الصفا والمروة، وطواف الوداع عند السفر، هذه مناسك الحج يبدأ أداؤها من اليوم التاسع - يوم عرفة - ونهايتها اليوم الثاني عشر، إلا الطواف والسعي فوقتهما ليس محدد النهاية.

ثم قال: ﴿فَمَنْ قَرَضَ فِيهِمْ﴾ أي: في هذه الأشهر، أولاً قال: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ﴾ ثم قال: ﴿فَمَنْ قَرَضَ فِيهِمْ﴾ دل على أنه لا يشرع الإحرام في غير هذه الأشهر المعلومات.

ومعنى ﴿قَرَضَ﴾ يعني: أحرم، لأن الإنسان إذا أحرم بالحج وجب عليه إكماله، ولا يجوز له ترك الإحرام قبل أن يؤدي المناسك، فلا بد إذا أحرم بالحج أن يكمله بمناسكه، وإذا أحرم بالعمرة لابد أن يكملها بمناسكها، ولا يجوز له أن يخرج من الحج أو العمرة بدون أداء مناسكهما، إلا إذا اشترط عند الإحرام إن كان محتاجاً إلى الاشتراط واشترط وقال: «فإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني»، فإذا اشترط وعرض له عارض يمنعه من أداء النسك، فإنه يتحلل منه ولا شيء عليه، أما إذا لم يشترط فإنه يكون محصراً، له حكم المحصر الذي قال الله فيه: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. أما المتمكن فإنه يمضي في إحرامه حتى يؤدي المناسك ويفرغ منها.

﴿فَمَنْ قَرَضَ فِيهِمْ﴾ عبّر عن الإحرام بالفرض، مما يدل على أن الإحرام بالحج أو العمرة يصيرهما فرضين واجبين عليه، ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ ثلاث لآت، نفي بمعنى النهي؛ أي: فلا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج، هذا توجيه للمحرم في أن يتجنب هذه الأشياء؛ لأنها لا تتناسب مع حالته؛ لأنه في عبادة والذي يكون في عبادة لا يدخل عليها شيئاً من المخالفات؛ لأنها إما أن تبطلها وإما أن تنقصها.

والإنسان إذا أحرم فإنه يتجنب المحظورات المخصصة بالإحرام، ويتجنب المحظورات المحرمة دائماً ومنها: الجدال والفسوق، أما الرفث بمعنى: الجماع فهذا يجوز في غير الإحرام، فإذا أحرم حرم عليه، تحرم عليه زوجته وهو محرم، أما قبل أن يحرم فزوجته حلال له، فهناك محرمات يحرمها الإحرام إلى أن ينتهي، ومنها محرمات دائماً وأبداً كالغيبة والنميمة، ومشاهدة الأفلام الخليعة، وسماع الأغاني

والمزامير وغير ذلك، هذا حرام دائماً، لكنه في حالة الإحرام يكون أشد، يكون إثمه من جهتين: من جهة أنه مُحَرَّم، ومن جهة أنه مُحَرَّم.

﴿فَلَا رَفَثَ﴾ والرفث: هو الجماع ودواعيه، فالمحرم ممنوع من الجماع وممنوع من الكلام في الجماع، وذكر الجماع أو ذكر النساء، أو خطبة المرأة بأن يخطب لنفسه، أو يخطب لغيره، أو يعقد النكاح لنفسه، أو لغيره، كل هذا يدخل في الرفث فقلوه: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ هذا نفي معناه النهي؛ لأن النهي إذا جاء في صيغة النفي كان أبلغ؛ لأنه نفي ونهي معاً. ولا ينظر المحرم إلى النساء مباشرة، أو في الشاشات والفضائيات التي فيها نساء فانتات، والنظر إلى صور الفتيات الجميلات، كل هذا من الرفث، ولا يستمع إلى الأغاني التي فيها التشبيب بالنساء، لا ينظر إلى النساء ويتحدث معهن في الأمور الخاصة بالجماع، حتى مع زوجته، لا يتكلم معها في أمور العشرة، هذا من الرفث؛ لأنه يدعو إلى الجماع.

وقوله: ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ الفسوق: هو المعاصي سمي فسوقاً لأن الفسوق في اللغة: الخروج عن الشيء، ومنه تسمى الفأرة الفويسقة؛ لأنها خرجت عن عادة غيرها بالإيذاء، وأما في الشرع: فهو الخروج عن طاعة الله - سبحانه وتعالى -، وهو يشمل جميع المعاصي كبائر أو صفائر، كلها تسمى بالفسوق، لأنها خروج عن طاعة الله، فالمحرم يتجنب المعاصي حال إحرامه كبيرة أو صغيرة؛ لأنها لا تتناسب مع إحرامه، وإن كانت المعاصي محرمة ويجب اجتنابها في كل الأحوال، لكن المحرم من باب أولى؛ لأنها تؤثر على إحرامه ونسكه.

والحري بالمحرم أن يشتغل بالطاعات والعبادات والذكر والاستغفار والتلبية، لا أن يدخل على إحرامه شيئاً من المعاصي والمخالفات لأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ.

﴿وَلَا جِدَالَ﴾ الجدال هو: المخاصمة، والمخاصمة على قسمين: إن كانت المخاصمة في أمور الدنيا، أو أمور الكلام والنقاش، فهذه لا تجوز للمحرم، لأنها تشغله عما هو فيه من العبادة، ولأنه قد يلحقه إثم بسببها، أما إذا كان الجدال

والمخاصمة لمصلحة راجحة في الدين، كبيان الحق أو رد الباطل، أو تعليم الجاهل فهذا عبادة ولا يتنافى مع الإحرام، فالمحرم إذا كان عالماً له أن يناظر أهل الباطل وأهل الضلال من أجل أن يرد شبهتهم ويبين أخطاءهم، لأن هذا من نصرة الدين، والله - جل وعلا - يقول: ﴿وَجَنِّدْ لَهُمْ بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فلا يتخاصم مع الناس ويتجادل معهم، وأشد من ذلك لو تضارب مع الناس أو قتل أحداً، هذا أشد، إذا كان الجدل منهيّاً عنه، وهو المخاصمة، فكيف بالفعل والتعدي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، هذا أشد تحريماً؛ فإذا كان الجدل ليس فيه رد باطل ولا نصرة حق، فهذا لا يتناسب مع الإحرام، لأنه يورث البغضاء بين الناس والعداوة بين المتجادلين، ويأخذ عليك الوقت، وهو الجدل العقيم الذي لا فائدة فيه.

لما نهى - سبحانه - عن هذه الأمور، وجه إلى الخير بدلاً منها، ولهذا قال: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾ افعلوا الخير وأنتم محرمون، اشتغلوا بذكر الله، بالاستغفار، بالتلبية، بالطاعة، بديلاً عن الرفث والفسوق والجدال، اشتغلوا بما ينفعكم ويفيدكم ويزيد من أجركم ويتناسب مع إحرامكم، الطاعات تتناسب مع الإحرام، أما المعاصي فهي تخالف الإحرام.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي خير صغيراً كان أو كبيراً، ولو كان من كلام طيب، الكلام الطيب مع أخيك خير، الدعوة إلى الله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تعليم الجاهل، هذا كله من الخير، الصدقة على المحتاج، صلوات النوافل في غير أوقات النهي هذا من الخير، قراءة القرآن، التلبية، كل هذا من الخير، فالمحرم يشتغل بالخير، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي خير صغيراً كان أو كبيراً، عملياً أو قولياً أو اعتقاداً ﴿يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾ لا يخفى عليه شيء، ولو لم تعلنه للناس، ولو لم تبينه للناس فإن الله يعلمه - سبحانه وتعالى -، ولو عملته خالياً ليس عندك أحد فإن الله يعلمه ولا يخفى عليه - سبحانه وتعالى -، وكون الله يعلمه يدل على أنه يجازي

عليه - سبحانه وتعالى - ، فعلم الله له يتضمن الجزاء عليه .

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ من قولسي أو عملي أو اعتقادي ، ما تفعلوه يعلمه الله ، لا تخافوا أنه يضيع أبداً أو أنه يُنسى ، الله يعلمه ، ويحصيه لكم ويجزيكم عليه الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] . فلا تخفى عليه أعمالكم ، ولا يضيعها عليكم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] . ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] . فأنت افعل الخير ، ولا تقل ذهب أو ضاع ، أو نسيه فلان وعلان ، فهو محفوظ عند الله - جل وعلا - يعلمه الله ، ويكتبه وينميهِ - سبحانه وتعالى - ، الحسنة الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] . يزيد من عنده - سبحانه - ما لا يحصى فالتجارة مع الله رابحة قطعاً ، وليس لربحها حد محدود بعدد ، بل هو يرجع إلى فضل الله - جل وعلا - وحسب نية العامل .

ثم قال : ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ لما نهى عن الرفث والفسوق والجدال ، أمر بما هو ضدها وهو التزود من الأعمال الصالحة ، وجّه المحرم إلى أن يشتغل بالأعمال الصالحة بدل أن يشتغل بالأعمال غير الصالحة . ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ يشمل الزاد الحسي ، الذي هو أخذ النفقة للحج بحيث لا يحتاج إلى الناس ، ويكون عالة على الناس ، ولهذا لم يوجب الله الحج إلا على المستطيع .

قال الله تعالى : ﴿وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] . والسبيل هو : الزاد والمركوب ، الذي يركبه ويحمل عليه متاعه ذهاباً وإياباً ، ومن لا يستطيع ذلك ليس عليه حج ، ولا يقول : أنا ليس لدي شيء ، لكن سأحج مع الناس ، والناس يكفلون بي . لا ، إن كان لديك شيء فحج ، وإلا أجل

الحج إلى وقت آخر، لكن لا يمنع هذا، لو أن مسلماً تبرع من ماله وحمل الحجاج دون أن يطلبوا منه شيئاً، وإنما هو نفسه بدأ بهذا وتبرع، لا مانع أنك تحج معه، إذا كنت محتاجاً وليس معك شيء، أما إذا كنت غنياً فالأحسن أنك تتعفف وتكتفي، الله أغناك فاستغن عن الناس.

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ لما أمر بالزاد الدنيوي، أرشد إلى الزاد الأخروي فقال: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ السفر في الدنيا زاده الطعام والشراب والمركوب والنفقة والدراهم، وأما السفر إلى الآخرة فإن زاده التقوى، وهي الأعمال الصالحة، بفعل الأوامر وترك النواهي، طاعة لله ورغبة في ثوابه وخوفاً من عقابه، هذه هي التقوى.

ثم قال جل وعلا: ﴿وَاتَّقُوا يَتَأُولَىٰ آلَآلِبِ﴾ لما حث على التقوى وبين أنها خير الزاد أمر بها ﴿وَاتَّقُوا﴾ يأمرنا - جل وعلا - أن نتقيه، كيف نتقي الله؟ أن نفعل ما أوجبه الله علينا وأن نترك ما حرمه الله علينا، هذه هي التقوى، فلا تحصل التقوى إلا بالطاعة، لا تحصل بغير الطاعة ﴿وَاتَّقُوا يَتَأُولَىٰ آلَآلِبِ﴾ أي اتقوا عذابي واتقوا غضبي، اجعلوا وقاية بينكم وبين ما تحذرون من طاعة الله - سبحانه وتعالى -.

والآلِبَاب: العقول، يخاطب العقلاء الذين يستمعون لنداء الله - عز وجل -، والعقل على قسمين: عقل معيشي، يعرف الإنسان كيف يبيع ويشترى ويتصرف مع الناس، هذا عقل معيشي، لكن العقل الصحيح هو العقل الذي يدلك على طاعة الله - جل وعلا -، العقل الصحيح هو الذي يمنعك من المضار، ويرغبك في الخير، ويميز لك بين الضار والنافع، هذا هو العقل الصحيح، وأما العقل المعيشي فهذا يحصل للبهاائم، البهاائم تعرف مصالحها، تعرف مضارها، فلا ميزة للإنسان عن البهاائم في العقل المعيشي، إنما الميزة في العقل الذي ينفعك عند الله - سبحانه وتعالى - . ولهذا قال: ﴿يَتَأُولَىٰ آلَآلِبِ﴾ لأن غير العقلاء لا يصغون لنداء الله ولا يمشلون

لأمر الله - سبحانه وتعالى -، فهم عقلاء من ناحية الدنيا، لكنهم غير عقلاء من ناحية الآخرة، ولهذا قال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١﴾ يَعْلَمُونَ ظَنَّهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الروم: ٦ - ٧]. نسأل الله العافية ﴿يَعْلَمُونَ ظَنَّهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هذا العقل المعيشي ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ ﴿٣﴾ فاقدون للعقل الصحيح المفيد الذي يميزهم عن البهائم، وهذا منه من الله - جل وعلا - يهبها لمن يختاره من عبادة، وله سبب من قبل العبد، العبد إذا أصغى إلى أوامر الله، وتأثر بها، وخاف من الله، ورجا ثوابه، هذه اسباب القبول، وأسباب الخير، وأسباب الرغبة فيما عند الله - سبحانه وتعالى -.

هذا ونسأل الله - جل وعلا - لنا ولكم المزيد من فضله، من العلم النافع والعمل الصالح، والإخلاص لوجهه - سبحانه وتعالى -، وأن يتقبل منا ومنكم، ويعفو عنا وعنكم، ويتوب علينا وعليكم، وعلى جميع المسلمين، ادعوا لأنفسكم ولإخوانكم، ولولاءة أموركم، وادعوا لجميع المسلمين، ادعوا لا تقتصروا على أنفسكم ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]. لا تقتصروا على طلب الدنيسا، اطلبوا الدنيا والآخرة وادعوا لأنفسكم ولوالديكم ولأقاربكم، ادعوا لولاءة أمور المسلمين بالصلاح والهداية؛ لأن هذا من صلاح المسلمين، وهذه أيام الدعاء التي يقبل فيها الدعاء، الزمان والمكان، الزمان أشهر الحج، والمكان مكة والمشاعر، فأنتم في زمان وفي مكان يرجى فيه قبول الدعاء، فأكثروا من الدعاء. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



١٦- درس في أعمال يوم التروية، وتجنب محظورات الإحرام، وما ينبغي للحاج أن يشتغل به

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

في هذا اليوم المبارك، وهذا المكان المبارك، وهذا البلد المبارك، يوم الثامن من شهر ذي الحجة، يسمى يوم التروية؛ لأن الحاج كانوا في الزمان الماضي يتروون فيه الماء، يحملون معهم الماء لهذا اليوم وما بعده.

أما في هذا الزمان، فقد وفرت المياه للحجاج في المشاعر، باهتمام من ولاية أمور المسلمين في هذا البلد، وفقهم الله وبارك في جهودهم وأعمالهم.

في صبيحة هذا اليوم يجتمع المسلمون في منى، محرمين بالحج، أو بالحج والعمرة، من كان قارناً، يجتمعون في هذا اليوم واللييلة، ليلة التاسع يقتدون بالنبي ﷺ؛ لأنه لما صار في اليوم الثامن أمر أصحابه الذين تحللوا من إحرامهم أن يحرموا بالحج، وأما من كانوا محرمين بالإفراد أو بالقران من الميقات فإنهم باقون على إحرامهم.

ثم توجه هو وأصحابه من مكة إلى منى، وأقام فيها هذا اليوم، وبات فيها ليلة التاسع، صلى فيها خمسة الفروض: الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، تقصر الرباعية: الظهر والعصر والعشاء تقصر إلى ركعتين، وأما المغرب فإنها لا تقصر لأنها وتر النهار، والفجر على أصلها باقية ركعتين، وصلّى كل صلاة في وقتها، ولم يجمع - عليه الصلاة والسلام - بل قصر بلا جمع.

ثم لما كان صبيحة اليوم التاسع ذهب إلى عرفة. فالبقاء في منى هذا اليوم وهذه الليلة سنة، من فعلها فهو أكمل وأكثر أجراً، ومن لم يفعل فلا حرج عليه، لو

ذهب إلى عرفة هذا اليوم أو تلك الليلة، ونزل فيها فلا مانع، لكن يكون تاركاً لسنة من سنن الحج.

والأفضل أن المتحلل من إحرامه، أن يحرم قبل الظهر، لأجل أن يبقى هذا اليوم وتلك الليلة محرماً، يكون ذلك أكمل أجراً، وإن أخر الإحرام ولم يُحرم إلا في الليل، أو من الغد فلا بأس بذلك، لكن كونه يحرم في هذا اليوم أفضل، ليستكمل الأجر والثواب.

وعلى الحاج أن يتفقه في المناسك ويعرف كيف يؤدي مناسكة، يقرأ من المختصرات الميسرة في صفة الحج والعمرة، ويسأل أهل العلم، يبحث مع إخوانه فيما أشكل عليه، ولا يبقى على جهله، أو يعتمد على فهمه، قد يكون فهم خطأ، السؤال يزول به الجهل والله الحمد، كذلك قراءة الكتب المفيدة النافعة الموثوقة، التي ألفها العلماء المعروفون بالعلم، يستفيد منها الإنسان إذا قرأها قراءة واضحة بينة، ويستفيد من سؤال أهل العلم، ويستفيد من المباحثة أيضاً مع إخوانه من طلبة العلم والحجاج، ربما يكون الإنسان عامياً لكنه قد حج عدة مرات، ويكون قد فهم المناسك بالعمل فبين لإخوانه الذين لم يحجوا من قبل. يبين لهم كيفية الحج، وهذا نوع من التعلم، الإنسان لا يحقر السؤال، ولا يبقى على جهله وعلى فهمه بدون أنه يعرضه على أهل العلم، وعلى إخوانه الذين جربوا الحج، حجوا وعرفوا المناسك بالعمل والفعل والتطبيق، هذا هو المقصود ببارك الله في الجميع.

والمشروع في هذا اليوم وتلك الليلة، أن يشتغل الحجاج بطاعة الله وبذكر الله، والإكثار من التلبية لأنهم في عبادة، والعبادة أفضل أن تشغل بذكر الله، لا مانع أن الحاج يتكلم ويتحدث مع إخوانه فيما يحتاجون إليه أو ما يؤنسهم، لكن ينبغي أن يكثر من ذكر الله ومن التلبية، وأن يترك ما يشغله عن ذكر الله - عز وجل -، وخصوصاً التلبية والتكبير والاستغفار والتوبة، وأما صلاة النافلة فلا يصلي مع الفرائض منها شيئاً، فالرواتب تترك، لأن المسلم إذا قصر الصلاة فإنه لا يصلي

الراتبة، إلا راتبة الفجر التي قبلها، فإنها لا تترك حضراً ولا سفيراً، كذلك الوتر في الليل لا يتركه المسلم، وإن صلى قبل الوتر ما تيسر له من صلاة الليل والتهجد، فهو زيادة خير، وإلا على الأقل لا يترك الوتر، فيوتر قبل الفجر؛ إن كان يثق في قيامه آخر الليل، وإن كان لا يثق في قيامه قبل الفجر فإنه يوتر قبل أن ينام، بعد صلاة العشاء، وإذا أخر الوتر وصلى قبله ما تيسر له من صلاة الليل فهذا أفضل.

الحاصل أننا في عبادة عظيمة، نحضر القلوب فيها، ولا نضيع الوقت فيما لا فائدة فيه، بل نستغله في هذا الأمكنة وهذه الأزمنة وهذه المناسك، استغل الوقت بذكر الله - عز وجل -، وطاعته والإقبال عليه، وتجنب محظورات الإحرام، يحافظ المسلم على إحرامه فلا يعمل ما يخل به، من أخذ شعر، أو تقليم أظافر، أو تطيب بالطيب، أو لبس المخيط، أو تغطية الرؤوس بالنسبة للذكور، بل تكون الرؤوس مكشوفة ليلاً ونهاراً، وإذا نسي وغطى رأسه فإنه يبادر بإزالة الغطاء، ولا يتركه مغطى، لأن هذا لا يجوز، لكن الناسي والنائم إذا غطى رأسه بدون شعور وبادر بإزالته فلا حرج عليه، ولكن إذا تعمد وغطى رأسه تكون عليه فدية، وكذلك يتجنب الحاج الرفث والفسوق والعصيان، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ قَرَضَ فِيهِمْ أَلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. ﴿فَمَنْ قَرَضَ﴾ يعني: أحرم بالحج، فإنه يتجنب الرفث وهو: الجماع ودواعيه من الكلام والنظر إلى النساء بشهوة واللمس، والنظر في الصور الفاتنة في الفضائيات والمجلات الخليعة، أو الاستماع إلى الأغاني الماجنة، والكلام بذكر الجماع والتحدث به أو الخطبة، خطبة الزواج أو عقد النكاح، كل هذا يدخل في الرفث والنبي ﷺ يقول: «لَا يَنْكِحُ الْمُحْرَمَ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ»^(١)، فيتجنب هذه الأمور، ويتجنب الاستمتاع بزوجه بأي نوع من أنواع الاستمتاع؛ لأنه محظور من محظورات الإحرام، ويتجنب غير ذلك مما يسبب الشهوة؛ لأنه محرم، فيحافظ المسلم على إحرامه، ويتجنب صيد البر من

(١) أخرجه البخاري برقم (١٨١٦)، ومسلم برقم (١٢٠١).

من الطيور وغيرها، ويتجنب قطع الشجر في الحرم وأخذ العشب أو غير ذلك من كل أخضر نابت داخل الحرم، سواء كان محرماً أو غير محرم؛ لأن النبي ﷺ حرم ذلك على المحرم وعلى غير المحرم، فالمسلم يتجنب هذه الأمور.

والفسوق هو: المعاصي سميت فسوقاً؛ لأن الفسق في اللغة: الخروج، فالذي يعصي خرج عن طاعة الله، فيتجنب المعاصي بجميع أنواعها، كبائر أو صغائر، لأنها تنقص عليه إحرامه وتقلل من ثوابه وأجره ويأثم بها، يكون محل الأجر إثم، وهو لا يرضى بذلك لنفسه.

والجدال هو: المخاصمة فلا يتخاصم مع إخوانه في شيء لا فائدة فيه أو فيه ضرر؛ لأن الخصومات تورث الانشغال عن الطاعة وتورث أيضاً الحزازات في النفوس، فيترك الجدال في الأمور التي لا فائدة لهم منها أو فيها مضرة، أما الجدال الذي فيه فائدة من بيان حق أو رد باطل، فهذا لا بأس، ولكن هذا لا يكون إلا لمن عنده علم فهو الذي يجادل ببيان الحق ورد الباطل، قال تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِلَا إِلَهَ إِلَّا هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ٤١٢٥]. ويكون الجدال أيضاً بالتي هي أحسن، لا يكون فيه عنف أو قسوة أو شدة، وإنما يكون بلباقة وحسن أسلوب وحسن كلام، يبين فيه الحق لمن التبس عليه الحق ويدفع الباطل لمن أراد أن يروج للباطل، يرد عليه ويبين أن هذا غلط وأن هذا لا يجوز، حتى ينتصر الحق، أما الجدال الذي لا فائدة فيه، أو في أمور الدنيا فهذا يتركه المحرم، وإن كان الأجدر أن يتركه المسلم دائماً، لكن المحرم بصفة خاصة لأنه في عبادة.

فعلى الحاج أن يشتغل بما يفيد، وما يكمل مناسكه، ولا يشتغل بما ينقص ثوابه وينقص أجره، أو يخل بإحرامه، أو بحجه، ويحافظ على ذلك غاية المحافظة.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ لما نهى عن هذه الأمور الثلاثة التي هي إثم، أمر ببدلها بالخير ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ هذا فيه توجيه إلى أن المحرم يفعل الخير، والخير يشمل الذكر باللسان والذكر بالقلب والتفكير بالقلب ويشمل أيضاً الأعمال الصالحة من قول أو فعل أو نطق، كلها أمور خير ﴿يَعْلَمُهُ

اللَّهُ ﷻ لا يخفى عليه شيء من أعمالنا، حتى ولو أخفيناها فإن الله يعلمها، لا تضع عنده - سبحانه وتعالى -، ولو نسيناها هو لا ينساها - سبحانه -، بل يحصيها لنا ويضاعفها من فضله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ يعني: أي خير ولو كان قليلاً، فإن الله - جل وعلا - يحصيه ويضاعفه ويحفظه ويجازي عليه يوم القيامة.

فهذا فيه التوجيه من الله - سبحانه وتعالى - للحجاج، بأن يشتغلوا بالخير ويتركوا الشر، لأنهم في عبادة فلا يكدروها بما يخالفها، العبادة يجعلها خاصة لا يدخل عليها شيئاً يكدرها، هذا هو المطلوب من المسلم، أما أنه يفعل خيراً ثم يدخل عليه شراً فهذا لا يستفيد شيئاً، يضع ما عمله من الخير، فيكون تبعاً بلا فائدة. فالمسلم لا يفسد عمله ويخلطه بفسده. يخلط الخير بالشر، بل يجعل الخير خالصاً باقياً، هذا هو التوجيه من الله - سبحانه وتعالى - لجميع الحجاج.

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم حجنا وعمرتنا وجميع أعمالنا، وأن يجعل هذه الأيام مباركة علينا جميعاً، وأن يجعل هذه الأماكن المعظمة خيراً وبركة ننال من خيرها وفضلها، فإننا في بقاع هي أشرف بقاع الأرض حول المسجد الحرام، وحول الكعبة المشرفة والمشاعر، فأنتم في أرض طيبة وفي وقت طيب، ومع إخوان لكم مهمتهم مثل مهمتكم، جاءوا جميعاً لمهمة واحدة، لا لطمع دنيا ولا لخوف من سلطان، وإنما جاؤوا يرغبون في الأجر، جاءوا من أنفسهم يتسابقون ويندفعون، بدون أن أحداً يسوقهم أو يدفعهم، أو يأتون رغبة في دنيا، أو مجاملة لأحد، إنما جاءوا طلباً للأجر والثواب، فارجوا أن الله يقبل منا ومنكم ومنهم جميعاً صالح أعمالنا، وأن يعفو عنا سيئاتنا ويغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا وجميع المسلمين.

عليكم بالدعاء والاجتهاد في الدعاء، لكم ولوالديكم ولأقاربكم ولإخوانكم المسلمين، وخصوصاً ولالة الأمور، ادعوا الله لصلاح ولالة الأمور، فإن صلاحهم صلاح للمسلمين، ادعوا لهم فإن الله قريب مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

١٧- درس في الوقوف بعرفة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

يناسب الكلام عن الوقوف بعرفة، لأنه هو الركن الأعظم، وهو الذي سيؤديه المسلمون إن شاء الله في هذا اليوم.

قال ﷺ: «الحج عرفة»^(١)، أي أن أعظم أركان الحج الوقوف بعرفة، فهو الركن الأعظم من أركان الحج، من فاته الوقوف بعرفة فاته الحج، فإذا مضى وقت الوقوف من زوال الشمس في اليوم التاسع إلى طلوع الفجر ليلة العاشر، ولم يقف بعرفة في هذا الوقت، فاته الحج هذه السنة، فعليه أن يتحلل بعمره، ويقضي حجه من العام القادم ويفدي، هذا ما يسمونه بالفوات.

والدعاء في يوم عرفة خير الدعاء، قال عليه الصلاة والسلام: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»^(٢)، هذا حثُّ على الإكثار من الدعاء يوم عرفة، فالمسلم يكثر من الدعاء في هذا اليوم، ويكرر كلمة التوحيد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، يكررها قولاً وعملاً واعتقاداً، يلزم هذه الكلمة ويعرف معناها ويعمل لمقتضاها، وهي كلمة عظيمة.

والوقوف بعرفة له وقت زمني ووقت مكاني، الوقت الزماني هو كما ذكرنا من

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٩٤٩)، والترمذي برقم (٨٨٩)، والنسائي (٢٥٦/٥، ٢٦٤)، والبيهقي (١٧٣، ١٥٢/٥)، والحاكم (٢٧٨/٢).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٨٥).

زوال الشمس - وقت دخول وقت الظهر - يوم التاسع ويستمر إلى طلوع الفجر، لكن من وقف بالنهار يلزمه البقاء إلى أن تغرب الشمس، ثم يدفع من عرفة إلى مزدلفة، أما من وقف ليلاً فيكفيه أدنى وقت، من لم يأتي إلى عرفة إلا بعد غروب الشمس يكفيه أدنى وقت، أما من جاء إليها قبل غروب الشمس فيلزمه أن يبقى فيها إلى أن تغرب الشمس، هذا زمان الوقوف.

أما مكان الوقوف فهو جميع ساحات عرفة، كل ما تحده العلامات الموضوعة على حدودها، كل ما كان داخل العلامات فهو عرفة، وما كان خارج العلامات فهو ليس من عرفة، فيجب على الحاج أن يتأكد من موقفه ومنزله، هل هو داخل حدود عرفة فيبقى أو خارج حدود عرفة فيلزمه الانتقال والدخول إلى عرفة حتى يصح وقوفه، وإذا كان داخل حدود عرفة فعليه أن يقف في أي مكان منها، ليس بلام أن يذهب عند الجبل، أو يصعد الجبل كما يظنه العوام، الجبل ليس له علاقة بالوقوف أبداً، وليس هو محل الوقوف، الوقوف في جميع ساحات عرفة، قال ﷺ: «وقفت ما هنسا وعرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة»^(١)، وبطن عرنة هو الوادي، وقد وضعت علامات الآن تبين وتفصل عرفة عن غيرها، فلا تخفى على أحد اليوم - الحمد لله - فما على الحاج إلا أن يتأكد أنه داخل حدود عرفة، وينزل في أي مكان، ويدعو في أي مكان، أما الذين يتجولون ويذهبون وينقلون ويذهبون إلى الجبل، ويستصحبون النساء الضعيفات إلى الجبل، هذا كله تعب بلا فائدة، بل هو بدعة. فعلى المسلم أن يخفف عن نفسه، وأن يعمل بما أرشد إليه الرسول ﷺ عرفة كلها موقف، ولا يكون بعضها أفضل من بعض، كلها موقف - الحمد لله - هذا يجب أن المسلم يعرفه، والدعاء إذا أراد أن يدعو لا يتوجه إلى الجبل كما يظن بعض العوام، وإنما يتوجه إلى القبلة، لأنه ليس للمسلمين قبلة إلا الكعبة، ليس هناك قبلة غير الكعبة، في دعائهم وفي صلواتهم، وفي عباداتهم، فيتوجه إلى الكعبة ويرفع يديه

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨ - ١٢٤٩)، عدا قوله: «وارفعوا عن بطن عرنة».

ويدعو، قائماً أو راكباً أو جالساً أو مضطجعاً، يدعوا على أي حال كان، ويكثر من الدعاء ويكثر من الذكر في هذه اليوم العظيم، وأما ما يفعله بعض الجهال من التعلق بجبل الرحمة، يذهبون إليه ويصعدون عليه ويتزاحمون عليه، ويأخذون من ترابه، ويكتبون على صخوره، ويتمسحون بالعمود المبني عليه، هذا كله من الجهالات والضلالات، وربما أن هذه الأمور تؤثر على عقيدة المسلم إذا تعلق قلبه بالجبل وظن أن هذه الصخور فيها بركة، وهذه الأشجار التي في الجبل أن فيها بركة، وبعضهم يأتي بوصايا وأوراق من الغائبين ويجعلها في هذه الصخور، يقول: هذه وصايا من المسلمين، كله خرافات لا دليل عليها، ولا تنفع أهلها بل تضرهم، لأنها عمل بغير شرع الله - سبحانه وتعالى - .

فالواجب على المسلم أن يتجنب أعمال الجهال والعوام، وقبل أن يدخل في العبادة يقرأ أحكامها وتفصيلها من كتب أهل العلم، حتى يؤديها على بصيرة، ليست حسب العوائد أو حسب ما يفعله العوام، أو أهل الخرافات. لا، الدين اتباع واقتداء للرسول ﷺ لأنه ﷺ حج بالمسلمين وأدى المناسك وقال: «خذوا عني مناسككم»^(١)، فالمناسك تؤخذ من سنة الرسول ﷺ لا تؤخذ من أفعال العوام ووصايا الجهال وأقوال الخرافيين لا، هذا ضلال وخطأ، وقد يصل إلى حد الشرك، أو على الأقل أنه تعب بلا فائدة، يائس صاحبه ولا يؤجر، فإذا أردت الأجر والثواب تقيّد بالسنة واعمل بالسنة وأخلص النية لله - عز وجل -، اجمع في العمل بين أمرين:

الأمر الأول: الإخلاص لله، أن يكون عملك لله ليس فيه شرك ولا رياء ولا سمعة.

الأمر الثاني: الاقتداء بالرسول ﷺ سنة الرسول هي القدوة.

لا تفعل شيئاً إلا بعد أن تتأكد هل هو من السنة أو لا، وإذا كنت لا تدري ولا تعرف

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٧).

السنة تسأل أهل العلم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. أما أنك تبقى في جهلك، أو تقلد فلاناً أو الجماعة الفلانية أو البلد الفلاني، هذا ليس بصحيح، هذا دين، الدين لا يفرط فيه، الدين لا يؤدي إلا على وجه صحيح حتى يكون ديناً صحيحاً، هذا هو المطلوب، أنت لو أردت أن تشتري بيتاً أو أرضاً أو سيارة، وأنت لست من أهل الخبرة، فإنك تذهب وتسال أهل الخبرة عن هذا البيت، عن هذه الأرض، عن هذه السيارة، هل هي صالحة أو ليست صالحة، هل قيمتها مناسبة، هذا في أمور الدنيا، فكيف في أمور الدين، تسأل أهل العلم، هل هذا عمل صحيح؟ وهذا عمل غير صحيح؟ هل هذا سنة؟ هل هذا بدعة؟ تسأل أهل العلم الذين يدلونك على الصواب. قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. وأهل الذكر هم أهل العلم، قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. أما الذي يعلم فإنه يعمل بعلمه، وأما الذي لا يعلم فليس له عذر بأن يسأل أهل العلم، ولا يقول أنا لست بعالم، إذا كنت لست بعالم فاسأل أهل العلم، إن كنت تعلم اعمل بعلمك، وإن كنت لا تعلم اسأل أهل العلم، فأنت لست معذوراً أبداً أن تمشي على العوائد وعلى فلان وعلان وتقول: هذا هو عمل الناس، الناس لا ينفعونك يوم القيامة، يوم القيامة إنما تسأل عن عملك، تسأل عن رسولك هل اتبعته أو لا، يسأل الرسول ﷺ يوم القيامة هل بلغت أو لا، فيقول: بلغت ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]. الله - سبحانه وتعالى - يسأل الرسل يوم القيامة، ويسأل المرسل إليهم يوم القيامة، ولا يبقى لأحد حجة أمام الله ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَعَلَّ يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. فالله بين لنا كيف نعبده في الحج وغيره، على لسان رسوله محمداً ﷺ. يمكن أن تقول: هذا زمان مضى، الرسول مات، ليس موجوداً، نقول: سنة الرسول موجودة، كأنه حي - عليه

الصلاة والسلام -، وقد أوصى فقال عليه الصلاة والسلام: «من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضموا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ كتاب الله وسنتي»^(٢)، - الحمد لله - الخير موجود، كأن الرسول ﷺ حي بين أظهرنا، لأن السنة باقية، والقرآن باق، فكان الرسول ﷺ أماناً يتحدث إلينا، فعلينا أن نرجع إلى سنة الرسول ﷺ ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. الله لم يكلنا إلى آرائنا وعقولنا، وإلى عاداتنا وتقاليدها في أمور الدين، الله أمرنا باتباع القرآن والسنة.

نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على قول الحق والصواب، وأن يعلمنا ما جهلنا وينفعنا بما علمنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه برقم (٤٢)، وأحمد برقم (١٧١٤٤)، والطبراني في الكبير (٢٤٥/١٨، ٢٤٦) برقم (٦١٧، ٦١٨)، والحاكم (٩٦/١)، والبيهقي (١١٤/١٠).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٧٨٨)، بلفظ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي: أهل بيتي، ولن ينفركا حتى يردا على الخوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

١٨- درس في تفسير قوله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ الآيات

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ (البقرة: ١٩٨ - ١٩٩).

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ الجناح هو: الحرج أي ليس عليكم حرج ﴿أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ المراد بالفضل هنا: طلب الرزق، وبتغوا: تطلبوا، فيكون معنى الآية: ليس عليكم حرج أن تطلبوا الرزق في موسم الحج، وذلك بأن يتبعوا ويتسكروا، وتاجروا في موسم الحج، وهذا لا يتنافى مع العبادة؛ لأن طلب الرزق المباح فيه إعانة على طاعة الله - سبحانه وتعالى -، فالمسلم يجمع بين الأمرين طلب الرزق المباح مع عبادة الله - سبحانه وتعالى -، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠). وكما في قوله سبحانه: ﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعُ وَيُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُمْ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (النور: ٣٦ - ٣٧). وقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ (العنكبوت: ١٧). فلا تنافي ولا تضاد بين كون المسلم يؤدي الفرائض من حج أو عمرة أو صلاة وهو مع ذلك يطلب الرزق الحلال من الله - سبحانه وتعالى -، فلا يقتصر المسلم على الصلاة

والعبادة فقط ويكون عالة على غيره، ولا يقتصر على طلب الدنيا وطلب الرزق ويتساهل في عبادة الله - عز وجل - وأداء الفرائض، بل يجمع بين الأمرين.

وسبب نزول هذه الآية، أن قوماً من أصحاب النبي ﷺ تخرجوا من الاتجار في موسم الحج، خوفاً أن يؤثر طلب الرزق على عبادتهم لله، فأنزل الله هذه الآية، ليبين لهم أنه لا مانع من طلب الرزق الحلال في الأوقات المناسبة، مع أداء فرائض الله - عز وجل - في مواقيتها وهيئاتها الشرعية.

ثم قال جل وعلا: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ أفضتم من عرفات أي: دفعتم بعد الوقوف فيها يوم التاسع، الذي هو الركن الأعظم من أركان الحج، إذا أفضتم منها بعد الوقوف فيها، فاذكروا الله عند المشعر الحرام، وهو: المزدلفة، وذلك بالنزول في المزدلفة ليلة العاشر بعد الإفاضة من عرفات، ينزل الحجاج في مزدلفة تلك الليلة، ويبيتون فيها، والمبيت فيها واجب من واجبات الحسج ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالصلاة في المزدلفة، صلاة المغرب، وصلاة العشاء وصلاة الفجر، وبالدعاء وذكر الله - عز وجل - والتلبية في هذا المكان العظيم وهو المشعر الحرام وما حوله، فالوقوف بالمزدلفة والمبيت فيها بعد الدفع من عرفة واجب من واجبات الحج، لأن الله أمر بذلك فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ والنبي ﷺ بين لنا كيف نذكر الله عند المشعر الحرام، حيث بات فيها صلى فيها صلاة المغرب وصلاة العشاء جمعاً وقصراً للعشاء، ثم بات - عليه الصلاة والسلام - إلى طلوع الفجر، ثم صلى الفجر فيها مبكراً، ثم تفرغ للدعاء قبيل طلوع الشمس، فتبين في هذا معنى قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ ورخص ﷺ للضعفة بأن ينفروا من مزدلفة بعد غيوبة القمر، أو بعد منتصف الليل، نظراً لحاجتهم لذلك لضعفهم، وأن بقاءهم إلى الفجر يشق عليهم، فرخص لهم ﷺ بالإفاضة من مزدلفة إلى منى.

ثم قال: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾ أي: اشكروا الله - جل وعلا - على

نعمته التي أنعم بها عليكم، وهي أنه هداكم لدين الإسلام، ووفقكم لهذا الحج العظيم، وهذه المناسك العظيمة، هذا من أعظم نعم الله عليكم، اذكروا الله - جل وعلا - بالتلبية وبالبداء والتضرع إلى الله - سبحانه وتعالى -، والإقبال على الله كما هداكم للإسلام، ووفقكم لحج بيته الحرام ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي قبل: هداية الله لكم ببيعة محمد ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ المنحرفين عن الحق إلى الشرك وإلى الكفر، ولما بعث الله لكم هذا الرسول النبي ﷺ هداكم به إلى الإسلام فعرفتم الحق من الباطل وعرفتم الدين الصحيح من الدين الباطل، هذه أعظم نعم الله التي تستحق الشكر لله - عز وجل - وذلك بالتمسك بهذا الدين العظيم والتعرف عليه والعمل به.

ثم قال جل وعلا: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أي قفوا بعرفة، وادفعوا منها إلى مزدلفة؛ لأن المشركين كانوا يقفون بالمزدلفة ولا يذهبون إلى عرفة، فغيروا دين إبراهيم عليه السلام وقالوا نحن أهل الحرم فلا نخرج من الحرم، فلما حج النبي ﷺ خالف المشركين، وجاوز إلى عرفة، وكانوا يظنون أنه سيقف في مزدلفة، فخالفهم ﷺ وجاوز إلى عرفة ووقف فيها كما وقف فيها إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، وهذا فيه: دليل على أن المسلمين أمة واحدة، لا تجوز مخالفتهم، فإذا وقفوا فيجب أن تقف معهم في الزمان وفي المكان، في الزمان في اليوم التاسع، وفي المكان في عرفة، التي هي الساحة التي جعلها الله للمسلمين يقفون فيها في اليوم التاسع، فالمسلم يكون مع المسلمين ولا يخالف المسلمين في مناسك الحج، وفي غيرها من العبادات، لا في زمانها ولا في مكانها، بل يجب أن يقف حيث وقف المسلمون، وينصرف حيث انصرف المسلمون، ولا يخالفهم ويأتي بعبادة من عند نفسه، ويتصرف في دين الله - عز وجل - بغير حق.

ثم قال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ اطلبوا منه المغفرة، فهذا فيه: دليل على استحباب الاستغفار والإكثار منه بعد الفراغ من العبادات،

تستغفر الله بعد أداء المناسك، تستغفر الله بعد الصلاة المفروضة، تستغفر الله في آخر الليل، تستغفر الله بعد كل عبادة تؤديها، لأنك عبد ضعيف ومظنة التقصير، وأنت لا توفي العبادة حقها، فتجبر ذلك بالاستغفار، تستغفر الله مما قصرت فيه، أو مما أخطأت فيه، فإن الله - جل وعلا - غفور رحيم ولهذا قال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر لمن طلب المغفرة منه ويرحم من تضرع إليه - سبحانه وتعالى -، هذا فيه الحث على الإكثار من الاستغفار في هذه المواطن الشريفة، وهذا الزمان العظيم.

ثم بعد غروب الشمس يدفع الحاج من عرفة إلى مزدلفة بسكينة ووقار وتلبية واستغفار، ويؤخرون صلاة المغرب إلى أن يصلوا إلى مزدلفة ويجمعوا بين صلاة المغرب مع صلاة العشاء جمع تأخير، فإذا وصلوا إلى مزدلفة بادروا بالصلاة جمعاً مع قصر صلاة العشاء إلى ركعتين، ثم باتوا بالمزدلفة. كما فعل النبي ﷺ إلى الفجر، فإذا طلع الفجر بادروا بصلاة الفجر في أول وقتها، ثم اشتغلوا بالدعاء والتضرع قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾. وقد وقف النبي ﷺ ودعا إلى قبيل طلوع الشمس ثم أفاض إلى منى وأجاز ﷺ للنساء والضعفة الانصراف من مزدلفة بعد منتصف الليل، وفي طريقه يأخذ الحصا، سبع حصيات لرمي جمرة العقبة، فإذا وصل إلى منى فأول شيء يبدأ به رمي جمرة العقبة لأنه تحية منى.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.



١٩- درس في فضل يوم النحر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

هذا اليوم، يوم عيد الأضحى، يوم مبارك عظيم، وهو بالنسبة للحجاج يوم الحج الأكبر، أي اليوم الذي تؤدي فيه مناسك الحج الأربعة وهي:

١ - رمي جمرة العقبة.

٢ - ذبح الهدي، من كان عليه هدي أو يتطوع بهدي، ويستمر إلى غروب الشمس يوم الثالث عشر.

٣ - حلق الرأس أو تقصيره.

٤ - الطواف والسعي.

هذه المناسك التي تؤدي في هذا اليوم، فإن أديتها كلها في هذا اليوم فهذا هو الأفضل وإن تأخر الطواف والسعي فلا بأس، وكذلك لو تأخر ذبح الهدي فلا بأس، أما رمي الجمرة فهو في هذا اليوم، كذلك حلق الرأس، الأولى أن يكون في هذا اليوم، لأنه لا يكلف شيئاً يقتضي التأخير، ولذلك سمي يوم الحج الأكبر لكثرة مناسكه، خلاف العمرة فإنها الحج الأصغر، وهي أقل مناسك من الحج لأنها: إحرام وطواف وسعي، هذه أركانها، وواجباتها: الإحرام من الميقات والحلق أو التقصير، والعمرة ليس لها يوم، وليس لها وقت محدد، وإنما في كل أيام السنة وشهورها.

هذا بالنسبة للحجاج، وبالنسبة لغير الحجاج من أصحاب البلاد الأخرى والأمصار والقرى والبوادي، فإنه عيد الأضحى، يذبحون فيه الأضاحي، يتقربون بها إلى الله - سبحانه وتعالى -، كما أن الحجاج يتقربون إلى الله بذبح الهدي، فهو يوم قربان

لله - عز وجل -، وهو عيد يأتي بعد أداء الركن الأعظم من أركان الحج، وهو الوقوف بعرفة، فهو يوم عظيم.

وكذلك في هذا اليوم يبدأ التكبير المقيد بالنسبة للحجاج وهو: التكبير بعد أداء الفريضة في جماعة، فيسن للإمام والمأمومين أن يكبروا بعد السلام، إذا استغفر ثلاثاً وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، يكبر وصفته أن يقول: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر والله الحمد»، يشفع التكبير ويفرد التهليل، ويكرر هذا بعد كل فريضة من الفرائض الخمس، إذا أداها مع الجماعة، وأما إذا صلى وحده، بأن فاتته الصلاة، أو ليس عند جماعة فلا يشرع في حقه التكبير المقيد، وسمي مقيد لأنه مقيد بالفريضة مع الجماعة، ولا مانع أن يكبر في غير هذا الوقت من ليل أو نهار، كله ذكر الله - سبحانه وتعالى -.

والتلبية انقطعت برمي الجمرة، كان الحاج قبل ظهر هذا اليوم مشغولاً بالتلبية، والتلبية تنقطع بالبداة برمي الجمرة، لأنه إذا أخذ يرمي الجمرة شرع في التحلل، وكذا لو بدأ بالطواف للعمرة فإنه يقطع التلبية؛ لأنه شرع في التحلل.

فالخاص أن هذا يوم عظيم من أيام الله - سبحانه وتعالى -، وبعده أيام عظيمة هي أيام التشريق، التي قال النبي ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله - عز وجل -»^(١)، فهي أيام مباركة قال الله - تعالى - فيها: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣]. هذه أيام عظيمة وأيام كريمة ومواسم شريفة جمع الله بين فضائل هذه الأيام للمسلم سواء كان حاجاً أو غير حاج كل مسلم ينال من الأجر في هذه الأيام، ولكن الحاج أكثر أجراً من غير الحاج، فالمسلمون كلهم ينالهم من أجر هذه الأيام إذا تنبهوا، أما إذا مرت عليهم ولم يتنبهوا لها، ولم يفرقوها عن غيرها، فإنهم يحرمون من فضلها.

(١) أخرجه مسلم برقم (١١٤١).

المقصود استعمال هذه الأيام بذكر الله - عز وجل -، وإلا فمرور الأيام يحصل حتى على البهائم، ويمر على المسلمين والكفار، ويمر على كل المخلوقات، ولكن المسلم يمر عليه أيام الفضائل، ويتنبه فيها ويتوب فيها ويستغفر، ويذكر الله فيها، وتكون خيراً له ومنبهة له، وتكون خزينةً لعمره، مملوءةً بالأجر والثواب، يفتحها يوم القيامة فيسر، أما الذي لا يستغل الأيام الفاضلة يفتح له يوم القيامة ولا يجد فيها شيئاً، خزائن خالية ليس فيها شيء، فهذه الأيام خزائنكم، إن أودعتم فيها شيئاً وجدتموه عند الله عز وجل، وتسرون حينما تفتحونها يوم القيامة، وإن أهملتموها فستندمون يوم القيامة إذا فتحتموها ووجدتموها خالية ليس فيها شيء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والمؤمن ينتقل من عبادة إلى عبادة، سواء في الحج أو في غيره، لكن الحاج ينتقل من عبادة في المناسك إلى عبادة في مناسك أخرى، ومن مكان إلى مكان في المشاعر، يتحرى بذلك رحمة الله - سبحانه وتعالى -، فيتعرض لرضوانه وفضله - سبحانه وتعالى -، فالحاج في خير، وكذلك المسلم في أي حال وفي أي مكان في خير، فيذكر الله في مكانه، ويتقي الله حيثما كان، ليس هذا خاصاً بالحجاج، إنما الخاص بالحجاج المناسك فقط، وأما العبادات الباقية فهي عامة، والفضائل في هذه الأيام عامة للحجاج وغيرهم.

نسأل الله - عز وجل - أن يوفقنا لصالح القول والعمل وصلى الله وسلم علي نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

٢٠- درس في بيان المناسك التي تؤدي في يوم الحج الأكبر (يوم العيد)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

فإن هذا اليوم يوم عظيم مبارك، هو يوم الحج الأكبر، كما سماه الله - سبحانه وتعالى -، وسمي يوم الحج الأكبر، لأنه تؤدي فيه أكثر مناسك الحج، ففيه رمي جمرة العقبة، وفيه ابتداء وقت ذبح الهدي، وفيه ابتداء وقت حلق الرأس، وفيه طواف الإفاضة، فلما كانت هذه المناسك كلها يستحب أن تؤدي في هذا اليوم سمي يوم الحج الأكبر. والحج الأكبر يخرج به الحج الأصغر وهو: العمرة، فالعمرة حج أصغر، وهذا هو الحج الأكبر.

وكذلك هذا اليوم - يوم عيد الأضحى - بالنسبة للأمصار فهو بالنسبة للحجاج يوم الحج الأكبر، وبالنسبة لأهل الأمصار هو يوم عيد الأضحى، الذي فيه ابتداء وقت ذبح القرابين لله - عز وجل -، فتذبح فيه الأصاحي لغير الحجاج، ويذبح فيه الهدي للحجاج فهو يوم مبارك، وكذلك قدراً في هذه السنة فضيلة ثالثة لهذا اليوم وهي أنه يوم الجمعة، فهو يوم تجمعت فيه الفضائل.

النسك الأول: الحج في هذا اليوم يرمون جمرة العقبة، وهي الجمرة الكبرى الأخيرة مما يلي مكة، يرميها بسبع حصيات متعاقبات، يكبر مع كل حصاة، ويبدأ وقت الرمي من منتصف الليل - ليلة النحر - ويستمر الوقت المختار إلى الغروب، يبقى وقت الضرورة لمن لم يتمكن من الرمي في النهار فإنه يرمي بعد الغروب.

النسك الثاني: ذبح الهدي لمن كان عليه هدي، كالتقارن والمتمتع، والذي يريد أن يذبح هدياً تطوعاً، فإن هذا اليوم هو بداية أيام الذبح، وأما ذبح الهدي الذي يكون

جبراناً عن ترك واجب أو فعل محظور من محظورات الإحرام، فإنه ليس له وقت محدد، ووقته من حين فعل المحظور أو ترك الواجب يذبحه في أي يوم. ومن لم يجد ما يذبح فإنه إن كان قارناً أو متمتعاً فإنه يصوم عشرة أيام، ثلاثة أيام في الحج آخرها قبل يوم عرفة، ومن فاته صومها قبل يوم عرفة فإنه يصومها في أيام التشريق الثلاثة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، فإذا انتهت أعمال الحج، فإنه يصوم سبعة أيام تكملة العشرة لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦]. يعني رجعت من أعمال الحج سواء صامها متتابعة أو صامها متفرقة الأمر واسع في هذا، وأما من لم يجد هدي الجبران، فإنه يقاس على من لم يجد دم التمتع، يصوم عشرة أيام.

النسك الثالث: حلق الرأس أو تقصيره، فيحلق جميع رأسه أو يقصر من جميعه، قال الله جل وعلا: ﴿مُحْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]. والنبي ﷺ حلق رأسه ودعا للمحلقين ثلاث مرات ودعا للمقصرين مرة واحدة^(١)، فالخلق أفضل من التقصير، ولكن يغلط بعض الناس في التقصير، أو قد يقلدون بعض الأقوال الاجتهادية لبعض العلماء، أنه يكفي أن يقصر من بعض رأسه وهذا خطأ، والواجب أن يقصر من جميع جوانب الرأس ولا يترك جانباً منه، لأن الله جعل التقصير بديلاً عن الحلق، والخلق يكون لجميع الرأس، فكذلك التقصير يكون لجميع الرأس ولا يكفي بعضه، قال تعالى: ﴿مُحْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ أضاف الحلق والتقصير إلى الرأس كله، فلا بد من تعميم الرأس بالخلق أو بالتقصير.

النسك الرابع: طواف الإفاضة سبعة أشواط بالبيت بنية طواف الحج وهذا يبدأ وقته من منتصف ليلة النحر ليلة العاشر ويستمر وقته، فليس له حد في النهاية وإنما هو محدود البداية فقط، فلو طاف في هذا اليوم أو طاف في ليلة الحادي عشر، أو طاف في اليوم الحادي عشر أو فيما بعده أو بعد أيام الحج إلى آخر الشهر، متى ما

(١) أخرجه البخاري برقم (١٧٢٧)، ومسلم برقم (١٣٠١).

طاف أجزأه ذلك لأن طواف الإفاضة ليس لنهايته حد، وإنما الحد لبدايته، ولكن كلما بادر به فهو أفضل، وطوافه في يوم العيد أفضل اقتداءً بالنبي ﷺ فقد طاف صبيحة يوم العيد، فإذا تيسر هذا فهو أفضل، وإلا فإنه يؤخره إلى الوقت الذي يكون أيسر له، والسعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج، فالمتمتع عليه طوافان وسعيان، طواف وسعي للعمرة، وطواف وسعي للحج، وأما القارن والمفرد فعليهما طواف واحد وسعي واحد، وأما طواف القدوم فهو سنة، لكن عليه طواف واحد وسعي واحد لحجه ولعمرته، وإن قدم السعي بعد طواف القدوم أجزأ، وإن أخره بعد طواف الإفاضة فلا بأس، وهذا هو الأصل.

فهذه الأعمال هي مناسك الحج بعد الوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة، يبقى عليه رمي الجمار في أيام التشريق، والمبيت بمنى ليالي أيام التشريق، وطواف الوداع، وهذا عند السفر، عندما يريد السفر بعد الحج فإنه لا يخرج من مكة حتى يطوف للوداع سبعة أشواط، لحديث: «كان الناس ينصرفون في كل وجه، فأمروا أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض»^(١)، فالحائض والنفساء ليس عليهما طواف وداع، وأما غيرهما فإن طواف الوداع واجب من واجبات الحج، وهو على كل حال يخرج من مكة بعد الحج، لا بد أن يطوف للوداع، سواء خرج من مكة لمسافة طويلة أو قصيرة، فالذي أهله في جده أو في الشرائع، أو في الزيمة، أو في بحرة، ولو كان قريباً من مكة، لا بد أن يطوف للوداع، لأنه على كل خارج من مكة؛ ولو أنه أخر طواف الإفاضة، وطافه عند السفر بنية الإفاضة فإنه يجزئه عن الوداع؛ لأنه يصدق عليه أنه آخر عهده بالبيت، هذه هي المسألة التي يجزئ فيها طواف الإفاضة عن طواف الوداع، ولو سعى بعده، فإن السعي لا يؤثر على أنه طواف للإفاضة ويغني عن طواف الوداع، لأنه يصدق عليه أنه آخر عهده بالبيت، ولأن السعي تابع للطواف ومقترن به، فلا يؤثر على أجزاء طواف الإفاضة عن طواف الحج.

(١) أخرجه البخاري برقم (١٧٥٥)، ومسلم برقم (١٣٢٨).

هذه الأمور التي يجب على المسلم أن يعرف أحكامها، وأن يعمل بها، وأن يسأل عما يجهله منها، ولا يبقى على جهله، ولا يسأل من لا يعلم، بل يسأل أهل العلم، قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]. لأن بعض الناس يسأل من يحسن به الظن، أو يحسب أنه طالب علم، ثم يفتيه هذا المسؤول بخطأ، وقد يكون الخطأ كبيراً يخل بالحج أو يفسده، لأن هذا الذي يفتي على غير علم لا يخاف الله - عز وجل -، وإلا لو كان يخاف الله ويخشاه لما أفتى بشيء لا يعرفه، بل يقول: اسأل أهل العلم، ولا يجوز لأحد أن يتجراً على الفتيا وهو غير محسن لمعرفة الحكم الشرعي، الله - جل وعلا - ما قال: اسألوا وسكت، بل قال: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ فالذين يُسألون هم أهل الذكر وهم أهل العلم. نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يوفقنا وإياكم لصالح القول والعمل وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

